

## الفصل الرابع

### التجربة السورية في التعليم باللغة الأم

# بسم الله الرحمن الرحيم

## التجربة السورية في التعليم باللغة الأم

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف حال اللغة العربية في مطلع القرن الماضي قبل تحرر سورية من الاحتلال العثماني لبلاد الشام، ومن الانتداب الفرنسي لسورية مدة خمس وعشرين سنة قبل الاستقلال، ومن ثم حالها بعد الاستقلال، واعتمادها لغة للتعليم في جميع مراحلها، ونوضح الإجراءات المتخذة لدعم هذا التعليم، ونقف أخيراً على الخطة الوطنية للتمكين للغة العربية، وموقف السلطات العليا من هذا التمكين.

## أولاً. حال اللغة العربية قبل الاستقلال

لقد كانت اللغة العربية مهمشة ومستبعدة أيام الحكم العثماني لبلاد الشام في مطلع القرن الماضي، إذ كانت اللغة التركية هي لغة التدريس، وكانت العربية نفسها تدرس بالتركية، وكتب نحوها وصرفها تؤلف باللغة التركية، وكانت دعوة بعض الكتاب الأتراك ترمي إلى إبعاد العرب عن لغتهم، فها هو ذا أحمد شريف محرر جريدة «طنين» التركية يقول فيها: «ما يزال العرب يلهجون بلغتهم، فمن واجبات الحكومة في هذه الحال أن تنسيهم لغتهم، وتجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم، فإذا أهملت الحكومة هذا الواجب كانت كمن تسعى إلى حثفها بظلفها، لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون آجلاً أو

---

\* بحث ألقى في مؤتمر اللغة العربية والتعليم - رؤية مستقبلية للتطوير - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة. كانون الثاني «يناير» 2008.

عاجلاً على استرجاع مجدهم الضائع، وتشبيد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الأتراك»<sup>(1)</sup>.

يمكننا أن نقف على حال اللغة العربية آنئذ في الرسالة التي بعث بها الشاعر سليمان التاجي الفاروقي إلى السلطان العثماني محمد رشاد<sup>(2)</sup>، والتي يشكو له فيها سوء واقع اللغة العربية قائلاً:

العرب لا شقيت في عهدك العرب	سيوف ملكك والأقلام والكتب
وكل خير أتى فالعرب مصدره	بل أي فضل أتى لم تحوهِ العرب؟
لسانهم أخلق الإهمال جدته	فبات ينعى على الكتاب ما كتبوا
تفشيت اللهجة العجماء فيه	إلى أن أنكرته بنوه الخُلصُ النجبُ
بضع وعشرون مليوناً لهم لغة	تموت ما بينهم؟ يا شدَّ ما غلبوا
هذي المدارس محظور تعلمها فيها	فمن أين نبغي؟ كيف تكتسب؟

وما أن تحررت بلاد الشام من الحكم العثماني وسياسة التتريك الرامية إلى فرض تركية وتهميش العربية واستبعادها، حتى عادت للعربية مكانتها، فأسس في دمشق المعهد الطبي العربي عام 1919 في عهد حكومة الأمير فيصل بن الحسين، وكان التدريس في هذا المعهد الذي أصبح فيما بعد كلية الطب في الجامعة السورية باللغة العربية، وكانت كليتا الحقوق والطب نواة الجامعة السورية، ثم أخذت الكليات الأخرى تفتتح، واعتمدت اللغة العربية في التدريس وفي جميع مناحي الحياة.

ولم تفلح محاولات الانتداب الفرنسي الذي ابتليت به سورية بعد الاحتلال التركي مدة خمس وعشرين سنة في تحويل التدريس من العربية إلى الفرنسية على الرغم من كل محاولاته في التضييق والتشديد على المعلمين، وفي فرض المناهج الفرنسية، إذ باءت محاولاته كلها بالإخفاق، إلا أن الأمانة التاريخية تدفعنا إلى ذكر أن ثمة من كان منصفاً من العلماء الفرنسيين في تهنئة أساتذة الجامعة السورية على اعتمادهم اللغة العربية في التدريس، فما هو ذا السيد «بونور» مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي يخاطب أساتذة الجامعة السورية في احتفال أعد فيها قائلاً: «لستم مخطئين في اختياركم اللغة العربية

في التدريس، بل كونوا واثقين أنكم أحسنتم صنعاً بانتقائها، فإن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم على خطأ مبين، فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى، غنية باشتقاقها، وكافية بكثرة تراكيبها، للتعبير عن الأفكار الجديدة والارتباطات الحديثة التي تربط تلك الأفكار، وأن فلاسفة العرب حينما نقلوا في القرن التاسع إلى لغتهم رسائل أرسطوطاليس تمكنوا من نقل العلوم إلى لغتهم كما في عهد ابن سينا والغزالي وابن رشد، فما ينكر أحد والحال هذه أن اللغة العربية صالحة لمباشرة اللغات الأخرى وللتعبير عن الأفكار العلمية الحديثة، واعلموا أن اندفاعكم إلى إيجاد مؤسسة علمية كبيرة عربية اللسان هو على ما أرى أكبر دليل على حذاقتكم، فظلوا محافظين على هذه الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة، وبعدهد من الأشكال الجميلة التي تجلى بها الفكر البشري».

ويتابع قائلاً: «إنني أهنيء العرب وأتمنى ألا يضيعوا هذا الاحترام المقدر للغتهم، لأن من يدافع عن لغته، يدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه وعن لحمه ودمه، و إنكم تفهمتم هذا الأمر جيداً»<sup>(3)</sup>.

والسؤال الذي يمثل أمامنا هو: كيف تمكن أساتذة كلية الطب من التدريس باللغة العربية ووضع المصطلحات بالعربية في أجواء لم تكن مساعدة على ذلك، إذ إن نفرًا منهم درس في المدارس التركية دون معرفة كافية بالعربية؟

والواقع لقد تسلح هؤلاء بالإرادة القوية والانتماء القوي لأمتهم ولغة قرآنها الكريم، فدفعهم ذلك إلى البحث في المعاجم القديمة عن المصطلحات وإلى الاستئناس بالمصطلحات التي وضعها أساتذة الطب في القصر العيني في القاهرة حيث كانت العربية لغة التدريس في القصر العيني قرابة سبعين سنة منذ أيام محمد علي باشا، وقبل الاحتلال الإنجليزي لمصر الذي حوّل لغة تعليم الطب من العربية إلى الإنجليزية. كما استأنس الأساتذة السوريون في كلية الطب بالكتب التي ألفها في أواخر القرن التاسع عشر ثلاثة أساتذة أجنب من أساتذة الكلية الإنجليزية السورية في بيروت حيث كانوا يدرسون الطب بالعربية في هذه الكلية التي

أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية، وغيّرت لغة التدريس فيها من العربية إلى الإنجليزية أيضاً.

## ثانياً. حال اللغة العربية بعد الاستقلال

بُهِت المصطلحات في سورية في نطاق من تعاون الجامعيين والمجمعيين، إلى سدّ حاجات الكليات العلمية جميعاً، وتكاتف أولئك وهؤلاء في ميدان تأليف الكتاب العلمي أو تعريبه، فتابعت الفروع الجديدة في الجامعة السورية «جامعة دمشق فيما بعد» بعد تطويرها واستكمال كليّاتها ما كانت بدأتها كلية الطب في تقديم الكتاب العربي لكل فروع المعرفة حتى شمل ذلك مقررات الجامعة في كل كليّاتها وأقسامها ومقررات المعاهد المتوسطة، مما أعطى التجربة السورية طابعها العملي، فليس هناك الآن علم من العلوم التي تدرس في الجامعة إلا وله كتاب عربي بحت، في خاتمة مسارد بالمصطلحات التي استخدمت فيه، وهي مسارد تؤلف في جملتها مادة المعاجم العلمية.

ولم يقتصر الأمر على الكتاب الجامعي، وإنما تعداه إلى المراجع العلمية الكبرى والمعاجم والكتب الحديثة والموسوعات التي تولت أمرها وزارة التعليم العالي في النطاق العلمي، ووزارة الثقافة في نطاق الدراسات الإنسانية<sup>(4)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت ثمة اختلافات في المصطلحات والمترادفات، فكانت أولى المحاولات في سبيل توحيد المصطلحات تكليف «لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب بالجامعة السورية» ترجمة معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور «كليرفيل» إلى العربية، وكان عدد كلماته حوالي خمسة عشر ألف كلمة، وقامت الجامعة السورية بطبعه في مطبعة الجامعة السورية سنة 1956، واعتمد أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الطب المصطلحات الواردة في تدريسهم.

وفي عام 1966 ألف اتحاد الأطباء العرب لجنة لتوحيد المصطلحات الطبية على نطاق الساحة القومية، فوضعت هذه اللجنة المعجم الطبي الموحد للمصطلحات الطبية، ولما كان موحداً، وانطلاقاً من إيمان السوريين بكل ما يوحد بين العرب، اعتمدوا المصطلحات الواردة في هذا المعجم، وتخلوا عن الكثير من المصطلحات التي كانوا يستخدمونها في تدريسهم، واستندوا إليه أيضاً في ترجمة بعض أمهات الكتب الطبية ككتاب «هاريسون» في الطب الباطني<sup>(5)</sup>.

أما المنهجية التي اتبعت في كلية العلوم بخصوص توحيد المصطلحات والتنسيق بينها فقد ألفت لجان للتوحيد على مستوى القسم، ثم على مستوى الكلية في الجامعة الواحدة، ولجان أخرى على مستوى الأقسام المماثلة، ثم الكليات المتماثلة في الجامعات السورية كافة، وطلب إلى مجمع اللغة العربية في دمشق أن يكون الحكم في توحيد المصطلح العلمي كله ولاسيما مصطلحات الكيمياء وعلم الحيوان والنبات...

وعادت إلى العربية مكانتها تأليفاً وترجمةً وتدریساً ومصطلحاً، بفضل جهود رجالات التعريب من أساتذة الجامعات وجهود مجامع اللغة العربية عامة ومجمع اللغة العربية بدمشق خاصة، «وعاد إلى التأليف باللغة العربية كثير مما افتقدته في عصور الانحدار من عمق في المعاني، ووضوح في الأفكار، وسلامة في اللغة، ونصاعة في البيان. وظهرت في اللغة العربية إلى جانب كتب اللغة والأدب، كتب علمية جيدة، استطاع مؤلفوها أن يجمعوا بين الغرض العلمي وسلامة اللغة وجودة العرض وحسن الأداء، وكان لطائفة من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق القدح المعلى في هذا المضمار»<sup>(6)</sup>.

ومن يطلع على الجدول رقم (1) الذي يوضح مدى حداثة الكتب الجامعية في الجامعات السورية الرسمية يجد أن نسبتها كانت 0.86 في المدة الواقعة بين 1961 و1979، ثم ارتفعت إلى 3.76% في المدة الواقعة بين 1980 و1984، وارتفعت إلى 4.47 في المدة بين 1985 و1989 وإلى 9.46% في المدة بين 1990 و1994،

وبلغت أعالها في المدة الواقعة بين 1995 و1999 إذ وصلت إلى 21.31%، وكانت نسبة المقررات التي لا تاريخ لها 37.25%.

الجدول رقم (1) يوضح مدى حداثة الكتب الجامعية

المجموع	مقرر بلا تاريخ	2005 2007	2000 2004	1995 1999	1990 1994	198 5 198 9	198 0 198 4	196 1 197 9	الجامعة
1824 100	855 46.8 8	144 7.89	259 13.8 7	187 10.2 5	144 7.89	110 6.03	92 5.04	39 2.14	دمشق %
1401 100	951 67.8 8	64 4.57	145 10.3 5	99 7.07	87 6.21	30 2.14	22 1.60	3 0.21	حلب %
1482 100	127 8.57	199 13.4 3	482 32.5 2	302 20.3 8	199 13.4 3	93 6.28	77 5.20	3 0.20	تشرين %
525 100	16 3.05	138 26.2 9	235 44.7 6	64 12.1 9	65 12.3 8	1 0.19	6 1.14	. .	البعث %
5232 100	1949 37.2 5	545 10.1 2	1115 21.3 1	652 12.4 7	495 9.46	234 4.47	197 3.76	45 086	المجموع %

المصدر: وزارة التعليم العالي.

ولقد عدَّ العام الدراسي 1982/1981 عاماً للكتاب الجامعي، إذ تم التركيز على تأليف الكتب الجامعية التي تسد حاجات الكليات وفي مختلف الاختصاصات. ولو نظرنا إلى الجدول رقم (2) الذي يوضح عدد الكتب المؤلفة في جامعة دمشق في العام المذكور موزعة على الكليات ونسبها المئوية لوجدنا أن ثمة وفرة في الكتب، وأن نسبتها في كلية العلوم بلغت 18.1% وقد فاقت نسبة الكتب المنجزة في كلية الآداب حيث كانت نسبتها 15.5%، ولو أخذنا النسبة المئوية للكتب المنجزة في الكليات الطبية «كلية الطب، كلية طب الأسنان، كلية الصيدلة» لوجدنا أن النسبة بلغت 15.87% وفي كليات الهندسة

« كلية الهندسة المدنية وكلية الهندسة المعمارية وكلية الهندسة الكهربائية والميكانيكية » بلغت النسبة 20.7%.

## الجدول رقم (2)

عدد الكتب المنجزة بالعربية في جامعة دمشق

في العام الدراسي 1982/1981 موزعة على الكليات

اسم الكلية	عدد الكتب المنجزة	النسبة المئوية من المجموع الكلي
كلية الآداب	118	15.5
كلية الاقتصاد	46	6.5
كلية التربية	50	6.9
كلية الحقوق	33	4.3
كلية الزراعة	60	7.9
كلية الشريعة	21	2.7
كلية الصيدلة	31	4.07
كلية الطب البشري	58	7.6
كلية طب الأسنان	32	4.2
كلية العلوم	138	18.1
كلية الفنون الجميلة	13	1.6
كليتا الهندسة المدنية والمعمارية	75	9.6
كلية الهندسة الكهربائية والميكانيكية	85	11.1

المصدر: وزارة التعليم العالي . جامعة دمشق . مديرية الكتب والمطبوعات.

واستمر تأليف الكتب الجديدة عاماً بعد آخر في جميع الجامعات السورية وفي مختلف الكليات، ولو وقفنا على موضوع تأليف الكتب الجديدة في جامعة دمشق مثلاً فإننا نلاحظ من خلال الجدول رقم (3) الذي يبين عدد الكتب الجديدة في المدة الواقعة بين العامين الدراسيين 2006/2005 و 2007/2006 أن أعلى نسبة لهذه الكتب كانت في كلية الآداب إذ بلغت 17.57% وتليها كلية العلوم إذ بلغت النسبة المئوية فيها

16.08 ومن ثم الهندسة إذ بلغت 14.17% فالطب «الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة» 10.56%.

### الجدول رقم (3)

الكتب الجديدة بجامعة دمشق في العامين الدراسيين 2006/2005 و 2007/2006

اسم الكلية	عدد الكتب المنجزة	النسبة المئوية من المجموع الكلي
كلية الآداب	29	17.57
كلية العلوم	26	16.08
كلية الهندسة	24	14.17
كلية التربية	21	12.95
كلية الاقتصاد	16	9.04
كلية الزراعة	12	7.45
كلية الحقوق	11	6.05
كلية الطب البشري	08	4.94
كلية طب الأسنان	06	3.77
كلية العلوم السياسية	04	2.49
كلية الصيدلة	03	1.85
كلية الشريعة	02	1.25

المصدر: وزارة التعليم العالي . جامعة دمشق . مديرية الكتب والمطبوعات.

ويتبين أيضاً أن الكتب الجديدة في العامين الأخيرين قد شملت الكليات العلمية كما شملت كليات العلوم الإنسانية، بالإضافة إلى الطب والهندسة. ولم يقتصر الأمر على تأليف الكتب بالعربية والتي تغطي حاجة الكليات الجامعية، وإنما تجاوز ذلك إلى تأليف الكتب المرجعية، والتي تعد مراجع علمية وتاريخية وأدبية، إذ صدر عن كلية الآداب الكتب المرجعية التالية:

. المرجع في الوثائق التاريخية عن بلاد الشام.

. المرجع في التوسع الحضري.

. المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظل العهد العثماني.

. المرجع في هيدرولوجيا البحر المتوسط.

. المرجع في النثر الأدبي في العصر العباسي.

وصدر عن كلية التربية:

. المرجع في التربية البيئية والسكانية.

وعن كلية الهندسة المدنية:

. المرجع في الجدران الاستنادية وخزانات السوائل.

وعن طب الأسنان:

. المرجع في أمراض النسج حول السنية.

. المرجع في تدبير المشاكل الطبية في عيادة الأسنان.

وعن كلية الزراعة:

. المرجع في علم الفطريات.

ومما ساعد أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات السورية على التأليف والترجمة والتعريب وجود معاجم عامة متخصصة كان قد وضعها بعض النابغين في فروع علمية متعددة. ومن هذه المعاجم معجم «كازمرسكي» أو معجم «دوزي» بالفرنسية والعربية، ومعجم «لين» ومعجم «بادجر» بالإنجليزية والعربية، ثم معجم «بيلو» و«المنهل» لواقعيه سهيل إدريس وجبور عبد النور، و«المورد» لواقعه منير البعلبكي، وغيرها كثير.

ومن المعاجم المتخصصة في ميدان الطب والعلوم معجم «العلوم الطبية والطبيعية» للدكتور محمد شرف، ومعجم المصطلحات الطبية كثيرة اللغة «كليرفيل» نقله إلى العربية الدكاترة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكي عام 1956، وقاموس «حتي» الطبي عام 1967، ومعجم «مصطلحات تعويض الأسنان» لميشيل خوري عام 1970، والمعجم الطبي الصيدلي الحديث للدكتور علي محمود عويضة عام 1970، والمعجم الفلكي لأمين معلوف، ومعجم أسماء النبات لأحمد عيسى 1949، ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي عام 1943 ومعجم المصطلحات الحراجية للشهابي عام 1962، والمعجم الكهربائي الإلكتروني أصدرته وزارة الدفاع السورية عام 1978، ومعجم المصطلحات البترولية والصناعة النفطية لأحمد شفيق الخطيب، ومعجم «الألفاظ والمصطلحات» للدكتور حسني سبوح، ومعجم «مصطلحات علمية» للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي.

وفي ميدان العلوم الإنسانية صدر «المعجم الفلسفي» للأستاذ يوسف كرم، و«المعجم الفلسفي» للدكتور جميل صليبا، ومعجم «المصطلحات الدبلوماسية» للدكتور مأمون الحموي، ومعجم «المصطلحات الجغرافية» وقد أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام 1965، ومعجم «المصطلحات الأثرية» للأمير يحيى الشهابي عام 1967، وقاموس علم النفس للدكتور فاخر عاقل.

وتجدر الإشارة إلى أن وجود المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق وهو أحد المراكز التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألكسو» في جامعة الدول العربية، قد أسهم أيما إسهام في العقد الأخير من القرن الماضي وفي العقد الحالي في إصدار أكثر من مئة كتاب علمي مرجعي مترجم في الاختصاصات الأساسية والطبية والهندسية والزراعية والبيئية والتربوية وغيرها.

وكان للأساتذة الجامعيين السوريين فضل كبير في الإسهام في عملية الترجمة، كما كان للمركز فضل في مدّ الجامعات العربية بإصداراته من هذه الكتب المترجمة في مختلف الاختصاصات.

ومن الكتب العلمية التي تم إصدارها في مجالات الهندسة والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والبيئة: هندسة الفيزياء النووية، هندسة المفاعلات النووية، الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث، معالجة الصور الرقمية، الاتصالات بالألياف البصرية، الأسس الفيزيائية لليزرات التقانية، الأسس الهندسية لإنشاء الليزرات التقانية، طرائق المعالجة السطحية بالليزر، معالجة المواد غير المعدنية بالليزر، الجيوفيزياء التطبيقية، أسس التصميم، أنظمة الاتصالات الإلكترونية المتقدمة، كهربية الريف، الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات، الآلات الكهربائية والميكروية، التجاوب المغناطيسي النووي، المعادلات التفاضلية، الكيمياء التحليلية، الكيمياء الفيزيائية، الكيمياء الحيوية المصورة، علم البيولوجيا، الفيزياء المتقدمة، بحوث العمليات، كيمياء تحليل الأغذية، الكيماويات الزراعية والبيئية، الكيمياء المتقدمة، توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي، الكيمياء العضوية، الكيمياء العامة، الطاقة وسلامة البيئة، مواد البناء واختباراتها، أساسيات ضبط الجودة، الأتمتة الصناعة والمؤتمتات القابلة للبرمجة، الوجيه في الصرف الصحي في المدن، منشآت تجميع مياه الأمطار، الهندسة، جيوتقنية مكبات النفايات ومطامرها، التنمية الزراعية المستدامة، تنظيم الحاسوب وبنياته، أسس الاتصالات اللاسلكية، اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء، مبادئ تحلية المياه المالحة، انات العالمية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض، الاقتصاد الهندسي، التقانات الحيوية، تكنولوجيا تنفيذ وتنظيم الأعمال الترابية في المشاريع الهندسية، الوجيه في الفيضانات، التصميم الرقمي... الخ.

من الكتب التي صدرت في المجالات الطبية: طب الأمراض المعدية والتغذوية، المعالجات الراهنة في الممارسة السنية، معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق، التطبيقات العملية في معالجة اللثة، المدخل إلى الإحصاء الطبي، الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء

الدواء، التركيز . دليل تدبير المريض، الشبكات العصبونية بين النظرية والتطبيق، الأمراض حيوانية المصدر، التطبيب والرعاية الصحية عن بعد، طب العيون العام، علم العقاقير، محاضرات في الطب الجزئي، نظم الطاقات المتجددة، طب الأسنان الوقائي الأولي، علم الجنين الطبي، علم الأدوية السريري، طب النساء، طب التوليد، المعلومات الطبية من الانترنت... الخ.

في المجال التربوي صدرت الكتب المترجمة التالية: أن تغدو مدرساً في التعلم العالي، الأساليب المتغيرة لدراسة تعليم الكبار، تكوين معلمين مهنيين، تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة، إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين، تطوير نظم الجودة في التربية، صعوبات القراءة، من أجل نظرية في البيداغوجيا، تكوين المعلمين المستمر وجدواه، المتعلم الكبير، نحو فهم لقيادة المناهج الديمقراطية، التعليم التحولي، تكييف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة، تعليم الموهوبين والمتفوقين، تعليم العلوم لجميع الأطفال، التربية الأساسية، إدارة نظم التعليم عن بعد، تشكيل المستقبلات (التعليم من أجل الكفاية والمواطنة)، سيكولوجيا التربية والتكوين، تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال، التقويم الصفي والتعلم، المرجع في جهود محو الأمية، التصميم المنظم، الدافعية والنجاح المدرسي، التعليم التحولي، تكييف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة... الخ.

## ثالثاً. مسوغات اعتماد سورية اللغة العربية في التعليم

إن اعتماد اللغة الأم «العربية الفصيحة» في التعليم هو الأمر الطبيعي، ذلك لأن لغتنا العربية هي هويتنا، وقد وُحِّدَت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم، وما تزال هي الرابطة الموحدة، والموحدة، شأنها في ذلك شأن الأم التي توحد بين أبنائها، وتحنو عليهم، وتشملهم برعايتها وعنايتها حبا وعظفاً واهتماماً، كما أن لغتنا العربية هي رمز

لكياننا القومي والقلعة الحصينة للذود عن هويتنا وذاتيتنا الثقافية، وهي ذاكرة أمتنا ومستودع تراثها وطابع انتمائها. وقد أسهمت أيما إسهام في مسيرة الحضارة الإنسانية عندما نقلت علوم الثقافات الأخرى من هندية وفارسية ويونانية... الخ وأسبغت عليها طابعها العربي، ومن ثم أبدعت وابتكرت في مختلف ميادين الحياة، وقدمت خلاصة تجربتها لأوروبا بطريق الأندلس، فهي لغة عالمية وحضارية.

ومن هنا كان اعتمادها في التعليم ذا أبعاد متعددة، ومن هذه الأبعاد: بعد الانتماء، والبعد التربوي، والبعد السياسي القومي، وبعد الإبداع.

**1- بعد الانتماء:** لقد أدركت سورية وانطلاقاً من جبلتها القومية وانتمائها العربي الإسلامي أن ارتباط المرء بلغته لا يمكن أن يعدله ارتباطه بأي لغة أخرى، لأن بين المرء ولغته الأم صلة وثيقة مشحونة بصلته بقومه وتاريخه وعقيدته وحضارة أمته، ولقد قال الثعالبي في «فقه اللغة وسرّ العربية»: «من أحبّ الله أحبّ رسوله المصطفى (ص)، ومن أحبّ النبيّ العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللغة العربية، ومن أحبّ العربية عُني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها».

ولما كانت لغتنا العربية هي اللغة الأم كان الانقطاع عن اللغة الأم انقطاعاً عن الجذور التاريخية وهروباً من الهوية الوطنية، لأن التنكر للغة الأم يؤدي إلى اجتثاث شخصيتنا من مسارها التاريخي ومن ثقافة مجتمعتنا فنصبح دون هوية، ذلك لأن لغة شعب ما ما هي إلا روحه، كما أن روح الشعب هي لغته على حدّ تعبير «همبولت»<sup>(7)</sup>. وها هو ذا «هردر» الألماني يرى أن «لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وقلب الشعب ينبض في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد»، كما أن الفيلسوف الألماني «هيدجر» يقول: «إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح»<sup>(8)</sup>.

لقد انطلقت سورية في اعتمادها العربية لغة التعليم في جميع المراحل من إيمانها أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم، وإنما هي جزء من شخصية الأمة وركيزة من ركائز قوميتها، ولم نسمع أحداً عند غيرنا ينادي بالتخلي عن لغته، ولم نسمع مخلوقاً ينادي بالتخلي عن جلده ليكون له لون آخر، ولا عن لسانه ليكون له ترجمان غيره، ولا عن فكره ليكون له أسلوب آخر في التفكير، ولا عن روحه التي بها مسكة الحياة وقوام الأمر، ليكون له من ذلك كله خلق آخر<sup>(9)</sup>.

**2- البعد التربوي:** أثبتت البحوث والدراسات أن الطالب الذي يتعلم بلغته الأم يستوعب المعلومات والحقائق بصورة أفضل مما لو تعلمها بلغة أخرى، ذلك لأن ثمة رابطة لا تنفصم بين الفكر واللغة، وما دام الناشئ العربي يحيا في بيئة عربية فإنه يفكر آلياً بهذه اللغة، وإنه لمن الصعب أن يفكر بلغته ويتحدث بغيرها، إذ إنه يضيع قسماً كبيراً من جهده في النقل والترجمة بين فكره ولسانه عندما يفكر بلغته ثم يترجم فكره إلى لغة أخرى يريد التحدث بها، فلا يجيء تعبيره سليماً عما فكر به، وأراد التعبير عنه.

**3 البعد السياسي والقومي:** إن التعليم حق لكل مواطن، وهو حق أقره الدستور، وإن الدستور السوري ينص على أن اللغة الرسمية للدولة إنما هي العربية، وما دامت اللغة الرسمية هي العربية كان اعتمادها في التعليم بجميع مراحلها يحقق ديمقراطية التعليم، لأن ديمقراطية التعليم ما لم يكن التعليم باللغة الأم، العربية الفصيحة، شعاراً لا مضمون له، وصورة لا واقع لها، فديموقراطية التعليم وكونه باللغة الأم طرفان متلازمان لا بد أن يؤدي أحدهما بالتحتمية إلى الآخر، والتعليم باللغة الأم وحدة للشعور والفكر والثقافة والاتجاه، وليست لأي وحدة سياسية قيمة أو رسوخ ما لم تكن قائمة على أساس من وحدة الشعور والفكر والثقافة.

إن اللغة العربية هي الوطن الروحي لأبناء الأمة الواحدة، وإذا كانت الأرض التي مع بين أبناء الأمة فوق ترابها تسمى وطناً، فإن اللغة التي جمعت بينهم في اللسان والفكر

هي وطن روحي آخر، وما أصدق قول «Vossler» عندما أكد أن من حرم وطنه على الأرض فله في لغته القومية وطن روحي يؤويه. ومن هنا كانت اللغة القومية قوة حقيقية تمكن الشريد المحروم من أن يجد له على الأرض وطناً آخر<sup>(10)</sup>.

**4. بعد الإبداع:** إن من بين شروط الإبداع الفكري أن يوائم المبدع بين فكره ولسانه، وأن يكون اللسان ترجماناً آلياً للفكر، لا أن يصرف المفكر قسماً كبيراً من جهده في ترجمة فكره بلغة لسانه، وإذا كان اللسان غير لسانه فإنه يصرف طاقة ضائعة كان بإمكانه أن يصرفها في التأمل والإبداع العلمي عندما يستعمل لغته الأم عوضاً عن أن يصرفها في الترجمة والمواءمة بين الفكر واللسان. وإن استخدام اللغة العربية في تعليم العالي شرط لتحقيق الإبداع العلمي وربط للجامعة بالمجتمع، ورفع للمستوى العلمي والثقافي للأمة.

وعندما تستخدم الجامعات العربية اللغة الأجنبية في التعليم يؤدي ذلك إلى عزل اللغة العربية عن العلم وعن التطور والتجديد والإبداع، فينظر إليها أبنائها على أنها لغة جامدة ومتخلفة، ويتهمونها بالقصور والعقم، ويزداد استبعادهم لها عن مجال العلم والتعليم، وهذا أقصى ما يتمناه أعداء الأمة.

## رابعاً - تميز التجربة السورية

لقد مضى على تطبيق التجربة السورية في اعتماد اللغة العربية الفصيحة في التعليم بمختلف مراحلها قرن تقريباً، وكانت هذه التجربة متميزة على الصعيد القومي، وغدت مضرب المثل إذ إن المتخرجين في الجامعات السورية وفي مختلف التخصصات ولاسيما الطبية يبرزون أقرانهم الذين درسوا باللغات الأجنبية، وهامهم أولاء يتقلدون أرفع المناصب العلمية والأكاديمية في المشافي الأمريكية والأوروبية، ولم يحل تلقيهم العلم في الدرجة الجامعية الأولى

لمغتهم الأم من التفوق والتميز في دراساتهم العليا وعملهم المهني، وإنما كان دافعاً لهم لحيازة ذلك التفوق، فلقد تلقى هؤلاء المتخرجون علومهم باللغة العربية الفصيحة، واستعمل أساتذتهم اللغة العربية الفصيحة في تعليمهم مستخدمين في المجال الطبي المصطلحات التي تضمنها المعجم الطبي الموحد.

ولنستمع إلى ما يقوله الباحث المصري الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين عن التجربة السورية في تعليم الطب بالعربية في العدد الرابع والثلاثين من «ديوجين مصباح الفكر» الصادر عن اليونسكو: «تبرز مأساة اللغة العربية بوضوح إذا ما رأينا أن العلوم التي تقوم عليها الحضارة الحديثة كالمهندسة والطب والصيدلة والطبيعة والرياضيات كلها تدرس باللغة الإنجليزية في جامعاتنا، لا لأن اللغة العربية عاجزة عن تمثل حقائقها ومصطلحاتها تمثلاً ما، بل لأن هيئات التدريس في هذه المجالات هي العاجزة عن استعمال اللغة العربية أداة لنقل المعارف الحديثة ومتابعة ما ينشر في الخارج بفكر ولسان عربيين».

ولقد حضرت أخيراً مناقشة لرسالة في عالم الطفيليات . يقول الدكتور شاهين . لنيل درجة الدكتوراه كانت أنموذجاً للمأساة التي نعيشها نحن في الوطن العربي، ومعبرة عن التمزق العميق في أعلى مستويات البحث العلمي الحضاري. الرسالة محررة بالإنجليزية، وقدمت الباحثة ملخصاً عنها بالإنجليزية أيضاً، وبدأت المناقشة، فتحدث المشرف بالعربية، وناقش أحد الأعضاء الطالبة بالإنجليزية، وناقش العضو الآخر الطالبة بالعربية، وكانت الطالبة ترد وتناقش بالإنجليزية وبالعربية في لغة مختلطة كاختلاط الرقع في الثوب المهلهل، وذلك في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية العريقة، ولو أن هذا الموضوع كان مطروحاً بجامعة دمشق لكتب بالعربية، ولنوقش بالعربية دون أدنى صعوبة في الأداء أو في المصطلحات.

لنقلها بصراحة ودون موارد . يقول الدكتور شاهين . إن اللغة العربية غير عاجزة، وإنما العاجز بعض بنيتها سواء أكان العجز من النوع الثقافي المتمثل في ضعف إمام أساتذة القاهرة باللغة العربية ومصطلحاتها، أو كان من النوع النفسي إذا افترضنا فيهم القدرة على استعمال اللغة الأم، ولكنهم يحجمون عن خوض التجربة لفقر في الإحساس بالكرامة

القومية، ذلك الإحساس الذي يدفع الجندي الأمين إلى اقتحام الأهوال، وقد كان خليقاً أن يدفع هؤلاء الأساتذة إلى صنع المحال<sup>(11)</sup>.

هذا ما ورد في مقال الدكتور عبد الصبور شاهين في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، وكان مجلس وزراء الصحة العرب والتعليم العالي قد أوصى في اجتماعه في مطلع الثمانينيات في دمشق أن يكون عام 2000 هو الانتهاء من تعريب الطب في الجامعات العربية، وها نحن أولاء نجد ونحن في مطلع عام 2008 أن الصورة ما تزال أكثر قتامة ويا للأسف، في الوقت الذي استطاع فيه أساتذة الجامعات السورية أن يثبتوا قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم، فوضعوا عدداً من الكتب العلمية تناولت شتى الموضوعات، وقدمت لنا أمثلة لقدرة اللغة العربية على التعبير عن دقائق العلوم، فوضعت المصطلحات العربية، وعرّبت المصطلحات الأجنبية، وظهرت أمهات الكتب العلمية في الجراثيم الطفيلية والكيمياء الحيوية والفسولوجيا النباتية وعلم النبات وعلم النسيج والتشريح المقارن والأغذية وتحليلها وتربية الحيوان والدواجن، وعلم تشخيص العقاقير، والكيمياء العامة الزراعية، فسدت الكتب العلمية التي ألّفت حاجات كلية الطب وطب الأسنان والصيدلة والعلوم في أقسام الفيزياء والرياضيات والكيمياء والحيوان والنبات... الخ.

وأسهم الأساتذة في معركة التعريب التي خاضتها الجزائر بعد استقلالها، كما أسهموا في عملية التعريب في السودان، فدرّسوا وقدموا المراجع العلمية وأمّهات الكتب تأليفاً وترجمة في مختلف الميادين العلمية، وكان ثمة إسهام لأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات السورية، في الجامعات الليبية واليمنية والأردنية وفي أغلب الجامعات العربية منطلقين من إيمانهم بأن استعمال اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية ليس مهنة أو قضية تعليمية، وإنما هو قبل ذلك قضية وطنية ورسالة قومية في الوقت الذي ابتلينا فيه على نطاق الساحة القومية بإهمالنا للعربية بغيرونا أن سواها أعف وأبجى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة كما يقول الدكتور كمال يوسف الحاج إذ يتابع قائلاً: «أسمعنا هذه المعزوفات فابتلينا بعقدة التكابر ل لساننا، وبعقدة التصاغر حيال لسانهم، وكانت النتيجة أننا صغرنا في أنفسنا دون أن

تكبر في أنفس الحاكمين حتى صرنا لا ننتخي لبيان عربي ولا لبلاغة عربية. ولا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن إرادتنا الواحدة، وليس في العالم شعب يريد إدخال عفاف على عفافه. إن كل أمة عزيزة الجانب، أبية الخلق، ثابتة الإرادة، تقدم لغتها على لغة سواها، ولا تتناول أشياء الآخرين إلا من بعد أشياءها القومية، أي من وراء حدودها الوطنية»<sup>(12)</sup>.

إلا أن التجربة السورية في التعليم باللغة الأم لم تكن بجائل دون إتقان اللغات الأجنبية، فقد عيّنت سورية بتعليم اللغات الأجنبية، فقررت وزارة التربية بدءاً من عام 2001 تدريس لغتين أجنبيتين في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي بعد أن كانت سابقاً تدرس لغة واحدة، على أن يبدأ تدريس اللغة الإنجليزية بدءاً من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وتدرّس اللغة الفرنسية بدءاً من الصف السابع بحيث يتخرج الطالب في نهاية المرحلة الثانوية وهو يعرف اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ولم يكن الاهتمام باللغة الأجنبية في مراحل التعليم العام فقط، وإنما كان ثمة اهتمام بها في المرحلة الجامعية وفي الدراسات العليا، بحيث لا يتمكن الطالب من تسجيل رسالته لنيل درجة الماجستير إلا بعد التحاقه بدورات في معهد اللغات الذي أنشأته الجامعة لتعليم اللغات الأجنبية، وذلك في ضوء مستوى الدارس وإثبات نجاحه فيها. ولا يتمكن من تسجيل رسالة الدكتوراه إلا بعد نجاحه في امتحان اللغة الأجنبية، وينطبق ذلك على المعيدين الموفدين في بعثات خارجية.

إن سعي التجربة السورية إلى بناء نظام تربوي ثنائي اللغة ينسجم ومقتضيات العصر من جهة، ويحقق الربط الوثيق بين الأهداف القومية والإنسانية معاً.

## خامساً. الخطة الوطنية للتمكين للغة العربية

انطلاقاً من أهمية لغتنا العربية في الحفاظ على هويتنا وذاتيتنا الثقافية، ومن دورها القومي في بناء أمتنا وتماسكها الاجتماعي، حرصت سورية على الحفاظ على لغتنا الفصيحة وعلى سيرورتها وانتشارها في جميع مناحي الحياة. ولقد تجلّى هذا الحرص في باقة من المراسيم والبلاغات والقرارات الرامية إلى تمكين اللغة العربية، ومنها:

- 1- المرسوم التشريعي ذو الرقم /139/ تاريخ 1952/11/6 يتضمن تعزيز استعمال اللغة العربية في البيئة، وذلك بمنع إطلاق الأسماء الأعجمية على المحال العامة والخاصة.
- 2- بلاغ رئاسة مجلس الوزراء رقم 95/ب/5/1709 تاريخ 1970/5/7 الرامي إلى الحدّ من طغيان الأسماء الأجنبية على المحال العامة والخاصة.
- 3- تعميم من رئاسة مجلس الوزراء إلى الجهات المعنية كافة رقم 2721/1 تاريخ 1980/5/28 يتضمن اعتماد توصية اللجنة الثقافية حول تعريب أسماء المحلات القائمة في البلاد.
- 4- قرار وزير السياحة رقم /397/ لعام 1980 ينص على أن تختار المكاتب والمنشآت السياحية على اختلاف درجاتها وفئتها في التصنيف أو التأهيل أسماء عربية فقط، ويحظر عليها استخدام أسماء أجنبية، واستثنى القرار المنشآت السياحية الأجنبية ذات المستوى والتصنيف الدوليين.
- 5- المرسوم الجمهوري ذو الرقم /759/ تاريخ 1983/6/10 ينص على تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة في الكليات والمعاهد العليا في سورية ما عدا قسم اللغة العربية والسنوات الأخيرة في كلية الطب البشري، ويدرس هذا المقرر على مدار السنة في النظامين الدراسيين الفصلي والخاص، وألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين، ونفذت التجربة منذ ثمانينيات القرن الماضي.

6- توصية اللجنة الثقافية في مجلس الوزراء لعام 1984 بضرورة العناية باللغة العربية في جميع الكليات واختيار المعيدّين وأعضاء الهيئة التدريسية من الذين يحسنون اللغة

العربية في التدريس، واعتماد شرط إتقان اللغة العربية في ترقية أعضاء الهيئة التدريسية وذلك في مؤلفاتهم وبحوثهم وتدريسهم.

7. القرار الجمهوري رقم /4/ تاريخ 2007/1/26 المتضمن تشكيل لجنة للتمكين للغة العربية والمحافظة عليها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها، ومهمة اللجنة وضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها، ومتابعة تنفيذها.

ولقد قامت اللجنة المشكلة، والتي كان لي شرف رئاستها، بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين، وتتابع حالياً تنفيذها مع الجهات المعنية، وقد اشتملت الخطة على مسوّغات وضعها، فأبانت أهمية اللغة عامة، والأهمية القومية للغتنا الأم، وحرص الجمهورية العربية السورية على سلامة اللغة الأم، ثم وقفت الخطة على الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة فيه في العملية التعليمية التعليمية وفي خارج نطاق العملية التعليمية التعليمية في البيئة الخارجية، كما وقفت على سبل المواجهة، وأبانت ما الذي ينبغي للجهات المعنية القيام به «وزارة التربية، وزارة التعليم العالي، وزارة الإعلام، وزارة الثقافة، وزارتنا الاقتصاد والسياحة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة الأوقاف، اتحاد الكتاب العرب، مجمع اللغة العربية، الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية». وثمة إجراءات عاجلة لا بدّ من تنفيذها بصورة سريعة وعاجلة ذكرتها الخطة، وتقوم الجهات المعنية بتنفيذها.

وتتابع اللجنة عملية التنفيذ محاولة تذليل العقبات المعترضة، وتجتمع اللجنة شهرياً لمناقشة عملية المتابعة، وترفع تقاريرها إلى السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب السيد رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية.

ولما كنا في صدد عرض التجربة السورية في التعليم باللغة الأم كان حرياً بنا تعرف الأدوار المنوطة بوزارتي التربية والتعليم العالي والتي عليهما تنفيذها، ذلك لأن للمعلمين دوراً كبيراً في الحفاظ على اللغة والارتقاء بها وإكساب الناشئة مهاراتها.

## وزارة التربية: وتعمل على تنفيذ ما يأتي:

- أ . إجراء دورات تدريبية لمربيات الأطفال على استخدام العربية المبسطة في رياض الأطفال، والسعي التدريجي لأن تكون الرياض جزءاً من السلم التعليمي وتوفير مستلزمات هذا المسعى من برامج وأنشطة وأدلة وكراسات... الخ.
- ب . إجراء دورات تدريبية للمعلمين كافة لتدريبهم على استخدام أساسيات لغتهم بصورة سليمة وتوظيف دورات التدريب المستمر في جانب منها لهذا المسعى.
- ج . التزام جميع المعلمين وفي مراحل التعليم كافة باستخدام اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية، وألا يخضعوا للترقية في وظائفهم إلا إذا أثبتوا إتقانهم أساسيات لغتهم.
- د . تنوع طرائق التدريس والمرونة في استخدامها بحسب الأجواء بما يفسح المجال فيها لاستشارة المهارات العقلية العليا من فهم وتطبيق وتركيب وتحليل ونقد وتقويم... الخ.
- هـ . تدريب معلمي اللغة على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها، والعناية بالتعلم الذاتي والمطالعة الحرة.
- و . تشجيع المتعلمين كافة على استخدام العربية السليمة في مناشطهم اللغوية، والتشدد في عدم قبول إجاباتهم بالعامية.
- ز . تخصيص جوائز للناشئة المتميزين في استخدام لغتهم الأم في مناشطهم اللغوية.
- ح . إعادة النظر في مضمون المناهج ولغتها لتكون لغة للحياة النابضة الزاخرة.
- ط . التركيز على النحو الوظيفي وعلى التعبير الوظيفي في المناهج اللغوية.
- ي . التركيز على القوالب والبنى اللغوية في عملية تعليم اللغة في المراحل الأولى قبل الدخول في المصطلحات النحوية، وتجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.

- ك . الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة في مراحل التعليم كافة وخاصة المراحل الأولى، وعلى قدر حفظ النصوص في المراحل الأولى يستقيم اللسان وينعكس على صحة القلم في التعبير الكتابي وعلى اللسان في التعبير الشفهي.
- ل . ضبط الكتب المؤلفة بالشكل في جميع الكتب في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وضبط ما يخشى منه اللبس في المراحل التالية.
- م . التدريب المستمر على الكشف في المعاجم.
- ن . إنتاج كتب إلكترونية مبسطة بالعربية.
- س . تصميم دروس العربية بالحاسوب والشابكة «الانترنت».
- ع . تطوير أساليب الامتحانات في جميع المراحل التعليمية وعدم الاقتصار في التقويم على الامتحانات الكتابية، مع ضرورة بناء أدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغوي، على أن تتضمن في بعض جوانبها الضبط بالشكل.
- ف . إجراء بحوث علمية لمعالجة المشكلات اللغوية في العملية التعليمية التعلمية.
- ص . العناية بالمكتبات المدرسية وتزويدها بدوائر المعارف والمعاجم وأمّهات الكتب والكتب الإلكترونية والسلاسل المتنوعة على أن تكون اللغة المستخدمة فيها سليمة لغوياً، وع أن تكلف أطر متخصصة بالمكتبات العناية بها.
- ق . إغناء البيئة التعليمية التعلمية بمصادر التعلم المختلفة من كتب وصحف ومجلات ووثائق وصور ومجسمات وتسجيلات ورسوم وأشكال وشرائح وخطوط بيانية وحواسيب... الخ.
- ر . تفعيل المناشط اللغوية اللاصفية من صحافة مدرسية ومجلات وإذاعة مدرسية وكتابة إعلانات ولافئات، وإجراء مناظرات ومسابقات لاختيار الأداءات المتميزة وتخصيص جوائز لها.

- ش . تفعيل المسرح المدرسي والإكثار من عرض المسرحيات الناطقة بالعربية الفصيحة المبسطة وإشراك الناشئة في تمثيل أدوارها.
- ت . زيادة الاهتمام بذوي الحاجات الخاصة وتأمين البرامج اللغوية والوسائل التعليمية للائمة لهم تحقيقاً لدمجهم في المجتمع بصورة فعالة.
- ث . الإشراف الفعال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع اللغة العربية فيها.
- خ . التركيز على وضع مناهج خاصة لتعليم المغتربين وأبنائهم وغير الناطقين باللغة العربية اللغة العربية بغية اكتسابهم مهاراتها.
- ذ . التركيز على اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية.
- ض . التنسيق مع وزارة الإعلام لإنتاج برنامج تلفزيوني متقن لتعليم العربية لأبنائها وللمغتربين ولغير الناطقين بها في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة.

### **وزارة التعليم العالي:** وتعنى بتنفيذ ما يلي:

- أ . اختيار الطلبة الراغبين في الانتساب إلى الكليات الجامعية كافة على أساس إتقان أساسيات اللغة العربية.
- ب . التزام جميع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد استخدام اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية.
- ج . إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية في كلية الآداب لتكون وظيفية.
- د . إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية لغير المختصين في ضوء اختصاص الطالب في كليته استشارة للدافعية وتأميناً للمنحى الوظيفي.
- هـ . إعادة النظر في برامج إعداد معلمي اللغة اختياراً وتأهيلاً وتدريماً.
- و . تعميم تدريس اللغة العربية مطلباً جامعياً في كل الكليات الجامعية وفي الجامعات الرسمية والخاصة.
- ز . وضع خريطة بحثية بالتنسيق مع وزارة التربية لمشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بغية معالجة هذه المشكلات بالأساليب العلمية.

. الأخذ بالحسبان أن يكون من بين شروط ترقية أعضاء الهيئة التدريسية إتقانهم أساسيات اللغة.

ط . اعتماد المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية بدمشق في التدريس وفي الترجمة.  
ي . تفعيل حلقات البحث لتؤدي الأهداف المرسومة لها من حيث تعويد الطالب على البحث والتلخيص والعرض والمناقشة باللغة العربية السليمة في كليات الآداب والعلوم الإنسانية.

ك . التركيز على اللسانيات التطبيقية، في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وتوظيفها في خدمة اللغة العربية الفصيحة.

ل . إعادة الامتحانات الشفهية إلى أساليب تقويم الدارسين وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية في الصفوف الأخيرة من الدراسة الجامعية.

م . الإكثار من ضروب النشاط اللغوي بالعربية الفصيحة في المناشط اللاصفية في الإذاعة، والصحافة الجامعية والمجلات والمسرحيات والمناظرات والمساجلات... الخ.

ن . تخصيص جوائز للمتفوقين من الطلاب في أدائهم اللغوي وفي جميع المجالات اللغوية.

س . تطوير قسم الصحافة في جامعة دمشق ليغدو كلية للإعلام بأقسامها المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأطر الإعلامية.

ع . تفعيل الترجمة الآلية وإعداد الأطر المتخصصة في ميدانها.

## سادساً . عوامل مساعدة

من العوامل المساعدة على تنفيذ خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية أن وضع هذه الخطة إنما جاء بقرار سياسي من أعلى سلطة في البلاد، إذ إن القرار الجمهوري رقم /4/ لعام 2007 ينص على وضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها

والارتقاء بها، ومتابعة تنفيذ هذه الخطة، كما أن السيد رئيس الجمهورية العربية السورية الدكتور بشار الأسد قد أشار في خطاب القسم للولاية الدستورية الثانية إلى ضرورة الاهتمام باللغة العربية قائلًا: «يجب إيلاء اللغة العربية، وهذا الموضوع هام جداً، بدأت به في خطاب القسم لأن هناك تراجعاً بالنسبة للغة العربية المرتبطة بالهوية العربية، يجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي نعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا، كائناً حياً ينمو ويتطور ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهراً لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات، ولتصبح أداة من أدوات التحديث ودرعاً متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا.

لقد أعطينا في سورية اللغة العربية كل الاهتمام، وتبوأنا موقعاً رفيعاً في حياتنا ثقافية منذ وقت مبكر. ومطلوب منا اليوم استكمال جهودنا للنهوض بها لاسيما في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجودنا القومي لمحاولات طمس هويته ومكانته، والذي يشكل التمسك باللغة العربية عنواناً للتمسك بهذا الوجود ذاته».

ويتابع السيد رئيس الجمهورية كلامه قائلًا: «ويجب أن نتذكر أن دعمنا لتعلم اللغات الأجنبية للوفاء بمتطلبات التعلم والتواصل الحضاري مع الآخرين ليس بديلاً عن اللغة بية، بل محفز إضافي لتمكينها والارتقاء بها. وهنا يحصل الخلط، أي أنا مهتم جداً بتطوير نفسي في اللغات الأجنبية، وأتحدث بعض اللغات بطلاقة، ولا يوجد لدي مشكلة، ومتحمس لهذا الموضوع، ولكن في الوقت نفسه أنا حريص على اللغة العربية».

ولكم هي جميلة تلك الصراحة والشفافية في قول السيد رئيس الجمهورية في خطاب القسم عندما يقول: «أول سؤال أسأله بعد أي خطاب: ما عدد الأخطاء اللغوية التي قمت بها قبل أن أسأل عن مضمون الخطاب. علينا أن نركز بشكل مستمر على هذا الموضوع. في كل خطاب قد أنسى الكثير من الأفكار، ولكن لا أحزن، ولكن إذا عرفت بعدد من الأخطاء اللغوية، وهي دائماً موجودة، فمع كل خطأ أشعر بالحجل».

ويضيف قائلاً: «عندما تضعف اللغة العربية، من السهل أن يضعف أي ارتباط آخر لنا سواء بالنسبة للوطن، بالنسبة للقومية، أو بالنسبة للدين، هذه الأمور ترتبط باللغة».

وفي كلمة ألقاها بمناسبة احتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية لعام 2008 «السبت في 2008/1/19» يقول فيها: «لن يستقيم الحديث عن ثقافتنا العربية دون أن نكون لغتنا العربية الأساس المتين لهذا البيت، لذلك علينا أن نعطي من شأنها، فهي لغة لقرآن الكريم الذي تتوجه نحوه مئات الملايين، لغة كتب بها نصف تاريخ العالم وتاريخ علمه وأدبه. لغتنا لغة الشعر العظيم والفكر والفلسفة والعلم. ومن الأهمية بمكان أن نتعلم اللغات الحية لتتعرف منجزات التقدم الإنساني دون أن يعني هذا إهمال لغتنا القومية أو يكون مدعاة لشعور بالدونية تجاه الآخرين، علينا أن نكون فخورين بها، ولا يتحقق فخرنا إلا إذا أغنيناها بالإبداع في كل صنوف المعرفة، فهو يعزز من حيويتها ومن عالميتها، ويجعلها فاعلة في مسار الوعي الإنساني، فلا هوية من دون لغة، ولا وطن من دون هوية».

، هذا الدعم من أعلى سلطة في البلاد للارتقاء باللغة العربية والاهتمام بها، يساعد أيما مساعدة على تحقيق الأهداف المرجوة من خطة التمكين للغة العربية، ولكم نتمنى على جميع أقطارنا العربية أن تنحو هذا المنحى في وضع خططها الوطنية والتعليم في جميع المراحل التعليمية باللغة الأم حفاظاً على لغتنا العربية، عنوان هويتنا ووجودنا، وذاكرة أمتنا، وجامعة شملنا، ورمز كياننا القومي، ولغة قرآنا الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم (ص) آية لنبوته، وتأييداً لدعوته، ودستوراً لأمته.

## حواشي البحث

- (1) الدكتور ناصر الدين الأسد، مستقبل اللغة العربية في عالم متغير، بحوث مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عيمده الماسي . مارس (آذار) . 2007 . ص7.
- (2) أ. سعيد الأفغاني . حاضر اللغة العربية في الشام . معهد الدراسات العربية العالية . جامعة الدول العربية 1962 . ص65.64.
- (3) الدكتور محمود السيد . اللغة العربية وتحديات العصر . بحوث العيد الماسي لمجمع اللغة العربية في القاهرة . مارس (آذار) 2007 . ص14.
- (4) الدكتور شكري فيصل . حركة المصطلح وتعريب التعليم في سورية . ندوة الرباط . 1985 . ص144.
- (5) الدكتور هيثم الخياط . في سبيل العربية . مكتبة وهي . القاهرة . الطبعة الرابعة . 2004 . ص22.
- (6) الدكتور مازن المبارك . اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي . دار النفاثس . الطبعة الرابعة . 1998 . ص12.
- (7) الدكتور مازن المبارك . المرجع السابق.
- (8) الدكتور محمود السيد . التمكين للغة العربية «آفاق وحلول» . المؤتمر المركزي لنقابة المعلمين في الجمهورية العربية السورية . 2007 . ص3.
- (9) الدكتور مازن المبارك . المرجع السادس . ص24.
- (10) المرجع السابق . ص38.
- (11) الدكتور عبد الصبور شاهين . ديوجين مصباح الفكر . العدد الرابع والثلاثين . السنة العاشرة . 1976 . ص10.
- (12) الدكتور كمال يوسف الحاج . في فلسفة اللغة . دار النهار . بيروت . 1967 . ص311.